

مملكة تدمر في المدرسة البريطانية –برنارد لويس أنموذجاً -دراسة تحليلية-

The Kingdom of Palmyra in the British School: Bernard Lewis as a Model - An Analytical Study

م.د. ميثاق عبيس حسين^{*1}

¹ جامعة بابل - مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

تاريخ الاستلام: 2026/04/05، تاريخ القبول: 2026/04/23، تاريخ النشر: 2026/04/30

الملخص:

برزت مملكة تدمر بوصفها واحدة من الممالك العربية القديمة المهمة التي قامت في شمال شبه الجزيرة العربية، بفضل موقعها القائم على مفترق طرق التجارة العالمية، مما لفت أنظار الإمبراطوريات المتصارعة آنذاك، ولاسيما إمبراطورية روما التي سعت جاهدة للسيطرة عليها من خلال إقامة علاقات ودية معها؛ وذلك لضمان مرور بضائعها التجارية، فضلاً عن التحكم بالقوافل التجارية للدول الأخرى المارة عليها.

كانت العزلة الجغرافية التي تمتعت بها مملكة تدمر، سبباً رئيساً في بروزها على المستوى السياسي؛ نتيجة بعدها عن الممالك الأخرى، مما أدى إلى صعوبة الوصول إليها والتوغل في الطرق الواصلة لها؛ لذا فرضت نفسها كقوة على المستويين السياسي والاقتصادي، وهذا جعل روما ترغب في وضع تدمر تحت سيطرتها في أغلب الأوقات، وعندما ترى منها محاولة في الاستقلال تعمل على قتل ملوكها كما حدث مع الملك أذينة الثاني، أو مع الملكة زنوبيا بإسقاط حكمها ونهاية مملكة تدمر. الكلمات المفتاحية: تدمر، الاستشراق، المدرسة البريطانية، برنارد لويس.

Abstract:

The Kingdom of Palmyra emerged as one of the most important ancient Arab kingdoms in northern Arabia, thanks to its strategic location at the crossroads of global trade routes. This attracted the attention of the competing empires of the time, particularly Rome, which sought to control it by establishing friendly relations. This was done to ensure the passage of its own goods and to control the trade caravans of other nations passing through its territory.

The geographical isolation of the Kingdom of Palmyra was a major factor in its political prominence. Its distance from other kingdoms made it difficult to reach and penetrate the trade routes leading to it. This isolation allowed Palmyra to establish itself as a political and economic power. Consequently, Rome frequently sought to bring Palmyra under its control. Whenever it perceived an attempt at independence, Rome resorted to assassinating its kings, as happened with King Odaenathus II and Queen Zenobia, ultimately leading to the downfall of the Palmyrene kingdom.

Keywords: Palmyra, Orientalism, British School, Bernard Lewis.

المقدمة:

تعد مملكة تدمر من الممالك العربية القديمة المهمة التي قامت في شمال شبه الجزيرة العربية، وتحديدًا في بلاد الشام، وقد أدى موقعها الاستراتيجي دوراً كبيراً في نشاط التجارة الدولية، ونتيجة لأهمية ذلك النشاط للإمبراطوريات الكبرى آنذاك، ولاسيما إمبراطورية روما التي سعت جاهدة لإقامة علاقات ودية مع مملكة تدمر؛ وذلك لضمان مرور بضائعها التجارية عبر أراضيها.

ومما شجع تدمر على أن تتصدر الموقف السياسي هو العزلة الجغرافية التي قامت فيها تلك المملكة، فبعدها عن المراكز التجارية القريبة وصعوبة الوصول إليها والتوغل في تلك الأراضي فرضت نفسها كقوة يحسب لها حساب بين الدول الكبرى آنذاك، وجعل كل واحدة منها ترغب في إقامة علاقات سياسية قائمة على مبدأ الاحترام المتبادل بينهما.

لذا جاءت دراستنا المعنونة بـ (مملكة تدمر في المدرسة الاستشرقية البريطانية برنارد لويس أنموذجاً-دراسة تحليلية-) للوقوف على أهم الآراء الاستشرقية التي قدمها (برنارد لويس) حول مملكة تدمر قبل الإسلام، وكيف تمكنت من قيادة المنطقة العربية لمدة من الزمن، ومن هنا تم تقسيم البحث على مبحثين تسبقهما مقدمة وخاتمة في نهاية البحث تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث أثناء دراسته لها، حمل المبحث الأول عنوان (دراسة تمهيدية للاستشراق البريطاني وسيرة برنارد لويس الاجتماعية والعلمية)، وفيه تناولنا الاستشراق للوقوف على طبيعة معناه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، فضلاً عن المدرسة الاستشرقية البريطانية وبداية اهتمامها بالشرق كمادة علمية لها، كذلك خُصص الجزء الثالث من الدراسة التمهيدية للوقوف على حياة برنارد لويس الاجتماعية والعلمية.

أما المبحث الثاني (الرؤية الإستشرقية عند برنارد لويس لمملكة تدمر قبل الإسلام)، فقد عُني بدراسة آرائه الاستشرقية وتفسيراته العلمية لمملكة تدمر، ومقارنتها مع النصوص التاريخية التي وردت في مصادر أخرى حول المملكة العربية للوقوف على أدق التفاصيل والتحليلات لتلك الآراء.

وختم البحث بقائمة المصادر التي لا يمكن الاستغناء عنها في كل دراسة فهي المورد الأول للكتابة والمصدر المهم في تزويد الباحث بمعلومات عنها، وجاءت هذه المصادر متخصصة ومتوافقة ومتلائمة مع طبيعة البحث، وقد تضمنت بقائمة في نهاية البحث.

المبحث الأول: دراسة تمهيدية للاستشراق البريطاني وسيرة برنارد لويس الاجتماعية والعلمية.

أولاً-الاستشراق لغة واصطلاحاً:

1- الاستشراق لغةً:

إن كلمة الاستشراق مأخوذة من الجذر (ش رق) الذي تتفرع منه عدة ألفاظ وبمعان تكاد تكون متقاربة. فهي كلمة مشتقة من الشرق، ويطلق أهل اللغة لفظة الشرق على الشمس يقال أطلع الشرق، والتشريق الأخذ من ناحية الشرق، والشرق موضع شروق الشمس، وأشرق الرجل أي دخل في مشرق الشمس⁽¹⁾. والسين في كلمة استشراق يفيد الطلب، أي طلب دراسة الشرق ولها عدة معان كلها تدور في فلك واحد هو الاهتمام أو الدراسة أو التوجه أو البحث الذي يقوم به الإنسان الغربي تجاه العالم الشرقي وتحديدًا العالم الإسلامي⁽²⁾.

2- الاستشراق إصطلاحاً:

اختلفت معاني الاستشراق من الناحية الاصطلاحية وفقاً للهدف الذي جاء من أجله المستشرق إلى الشرق، ومن هذه التعريفات والمعاني للاستشراق ما يأتي: هو أسلوب غربي لمعرفة العالم الشرقي من طريق البحث أو التخصص في الشرق، بدراسة علوم وآداب وديانات وتاريخ شعوب الشرق، للسيطرة عليه⁽³⁾.

أما تعريف الموسوعة الميسرة فهو: "تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين، وثقافتهم، وتاريخهم. ويقصد به: ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه، وآدابه، ولغاته، وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما"⁽⁴⁾.

وبذلك يمكننا القول أن الاستشراق وعلى وفق النصوص آنفة الذكر هي كلمة تدل على دراسة شرق الكرة الأرضية، ولاسيما المنطقة التي انتشر فيها الإسلام متناولاً حضارته ودياناته بتفاصيل دقيقة جداً، من أجل معرفة طبيعة التفكير لأهل الإسلام وما هي تصوراتهم عن الغرب الأوروبي.

ثانياً-نشأة الاستشراق البريطاني:

اختلف الباحثين في تحديد بداية الاستشراق البريطاني؛ رغم وجود رأيين في هذا الصدد، فالرأي الأول أشار إلى بداية اهتمام بريطانيا بالشرق تعود إلى ما قبل الحروب الصليبية، إذ توجه عدد من البريطانيين إلى الأندلس للدراسة في جامعاتها ومدارسها، أبرزهم: أدلارد أوف باث (1070-1135م)، الذي قام برحلات واسعة في الأندلس، فضلاً عن ذلك قام روبرت أوف تشتر (1141-1148) بدراسة الرياضيات وترجم بعض منها إلى اللغة العربية، ودانيال أوف مورلي (ت1190)، الذي أبدى عدم رضاه بجامعات الإفرنج فتوجه إلى الأندلس بحثاً عن العلماء والفلاسفة وعاد إلى بريطانيا ومعه مجموعة من الكتب⁽⁵⁾.

والرأي الثاني أشار أن أول اتصال مهم من الثقافة الإسلامية والأوروبية كان بسبب الحروب الصليبية، وكانت تلك هي الفرصة الأولى التي عززت الاتصال بين الشرق والغرب⁽⁶⁾، إلا أن البحوث التاريخية ارتأت أن ذلك التبادل الثقافي كان محدود المدى والأثر وهو أمر يتفق مع ما كان سائداً في ظل الحروب بين الطرفين⁽⁷⁾.

إلا إننا نرى أن القرن السابع عشر الميلادي يعد البداية الحقيقية للدراسات الاستشراقية في بريطانيا، نتيجة إنشاء كراسي اللغة العربية في جامعات بريطانيا المختلفة، أبرزها: كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج عام 1632 وفي جامعة أكسفورد عام 1636، ومن أبرز مستشاري هذه المدة وليم بدول (1561-1632م)، ويعد سيمون أوكلي في جامعة كامبردج أبرز من أسهم في الدراسات العربية الإسلامية بفضل كتابه المعنون (تاريخ السراسنة)⁽⁸⁾، مما شجع الجامعات على توفير الدراسات الشرقية وتعميمها، وقد أسفرت تلك الدراسات عن تحديد تاريخ الجنس البشري وتقويم تراثه، وللعربية فيه قسط واف، تجددت بفضل الصلات الاقتصادية والسياسية بين بريطانيا والشرق الأدنى⁽⁹⁾.

أخذ الإنكليز بتوثيق الصلة بالشرق الأوسط والاهتمام بهذه المنطقة، إذ بدأوا بإرسال الحملات التبشيرية وقامت في منافسته بابوات⁽¹⁰⁾ روما وملوك فرنسا في إرساله الوفود إلى الشرق لمعرفة تراثه والاستفادة من خيراته لما يخدم مصالحها، ويذكر إن بريطانيا أرسلت بعثات خاصة للحصول على المخطوطات ونواذرها والاحتفاظ بها في مكتباتها⁽¹¹⁾.

وفي مطلع القرن الثامن عشر ازدهر الاستشراق متأثراً بعوامل عديدة من أشهرها: إنشاء كرسيين جديدين في جامعتي أكسفورد وكامبردج والتوسع الأوروبي في الشرق الأقصى ولاسيما الهند، وأقبل الطلاب في بريطانيا على النصوص السنسكريتية⁽¹²⁾ ومصادر ثقافتها إقبالاً حثماً على مديري الجامعات إنشاء قسم خاص بها في العلوم الشرقية، ثم اختتم هذا القرن بحملة نابليون على مصر، فاتصل الشرق الأدنى بأوروبا في الثقافة والسياسة والاقتصاد، وتبين منه أن العربية أصل كل ثقافة إسلامية في أية لغة من اللغات⁽¹³⁾.

لقد زاد الغرب عامة وبريطانيا خاصة في اقتناء ما بقي للشرق من تراث ليؤدي دوراً جديداً في حركة الاستعمار⁽¹⁴⁾، فلا غرابة بعد ذلك أن دار الكتب البريطانية التي تأسست سنة (1168هـ - 1753م) تعد موضع إعجاب للعلماء قاطبة فإن مجموع المخطوطات العربية فيها يحصى بالألوف وتعد بعد مكتبة القاهرة والاستانة في الأهمية⁽¹⁵⁾.

وفي القرن التاسع عشر ازداد اهتمام الاستشراق البريطاني بالترجمة والتحقيق للكتب العربية، وبحسب للمستشرقين البريطانيين تحقيق ما يقرب من (500) كتاب عربي وجمعهم للمخطوطات العربية والفارسية وحفظها وفهرستها والعناية بالمعاجم والموسوعات العلمية. وازداد معها الاطلاع على سيرة النبي محمد (ﷺ)⁽¹⁶⁾.

ثالثاً- سيرة برنارد لويس الاجتماعية والعلمية

مستشرق بريطاني ولد في لندن في 16 آيار 1916م⁽¹⁷⁾، لأبوين يهوديين من الطبقة الوسطى، تزوج من رُث هيلين أوبنهايم عام 1947 وأنجبت له بنتاً وابناً قبل أن ينهي زواجهما عام 1974⁽¹⁸⁾.

تلقى تعليمه في جامعة لندن وحصل على البكالوريوس في الآداب من قسم التاريخ بجامعة لندن في تخصص الدراسات الشرقية والأفريقية، ثم التحق بجامعة باريس معهد الدراسات السامية وحصل منها على دبلوم الدراسات السامية، ثم عاد إلى جامعة لندن لينال درجة الدكتوراه عن رسالته في أصول الإسماعيلية⁽¹⁹⁾.

عين معيداً للتاريخ الاسلامي في جامعة لندن 1938، ثم التحق بوزارة الخارجية (1941-1945) وعمل استاذاً لتاريخ الشرقيين الأدنى والأوسط في جامعة لندن 1949 وأستاذاً للتاريخ في جامعة كاليفورنيا (1955-1956)⁽²⁰⁾.

خدم بالجيش البريطاني في أثناء الحرب العالمية الثانية قبل أن تعار خدماته إلى وزارة الخارجية، ثم عاد إلى جامعة لندن ليدرس فيها حتى وصل إلى منصب رئيس قسم التاريخ بمدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية في الجامعة للمدة من 1957م حتى عام 1974م، حيث انتقل بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليحصل على الجنسية الأمريكية عام 1982م، ثم عمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية، فضلاً عن عضويته في الجمعية الاسيوية الملكية، والجمعية التاريخية الملكية والمعهد الملكي للشؤون الدولية⁽²¹⁾.

في عام 1990 اختارت المنح الوطنية للإنسانيات لويس لمنحه محاضرة جيفرسون كأعلى تكريم من حكومة الولايات المتحدة الاتحادية للإنجازات في حق الإنسانيات⁽²²⁾.

له العديد من المؤلفات من أشهرها⁽²³⁾:

- 1- العرب في التاريخ (وهو موضوع دراستنا).
- 2- الإسلام في التاريخ .
- 3- اللغة السياسية في الإسلام.
- 4- أصول الإسماعيلية.
- 5- اللون والعرق في الإسلام أو اللون والعرق في الشرق الأوسط.
- 6- الحشاشون أول فرقة ثورية في الإسلام.
- 7- الساميون والاساميون.

8- الغرب والشرق الأوسط. بالإضافة إلى عدد كبير من البحوث التي نشرت في الدوريات المتخصصة، ومنها:

أ- الشيوعية والإسلام، نشرت في مجلة شؤون دولية.

ب- الديمقراطية في الشرق الأوسط، نشرت في مجلة شؤون الشرق الأوسط.

ت- عودة الإسلام، نشرت في مجلة Commentary، ونشرت مترجمة في مجلة الدعوة المصرية (النمسا).

إن برنارد لويس شخصية علمية متخصصة في التاريخ الإسلامي، إذ اهتم بالإسلام عموماً، وإن كان قد تحول إلى دراسة القضايا المعاصرة في العالم الإسلامي عندما ظهر في الغرب اهتمام بالقضايا المعاصرة، ومن أبرز ما يهتم الغرب في العالم الإسلامي الفكر السياسي، ولا يمكن أن يتم فهم الفكر السياسي المعاصر ولا سيما للجماعات الإسلامية التي يطلق عليها الغرب خطأً (الأصولية الإسلامية) إلا بدراسة الفكر السياسي كما جاء في الكتاب والسنة وكما جاء في اجتهادات علماء الإسلام وفقهاؤه⁽²⁴⁾.

رابعاً- وصف الكتاب

يعد كتاب العرب في التاريخ من الدراسات التاريخية المهمة للمستشرق البريطاني برنارد لويس من الدراسات التاريخية المهمة، لما قدمه من معلومات عن تاريخ العرب منذ أزمان سبقت الإسلام وبعده بسنوات طويلة، ومن هذا المنطلق اعتمدنا في دراستنا هذه على كتابه المعنون بـ: (العرب في التاريخ) الذي يتكون من 277 صفحة والمترجم من لدن نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، الصادر عن دار العلم للملايين في بيروت في طبعته الأولى آذار 1954.

قسم الكتاب على مقدمة وعشرة فصول وختمها بثبت التواريخ وفهرست الأعلام، ففي الفصل الأول المعنون (بلاد العرب قبل الإسلام ص 25-45)، وهو موضوع دراستنا التي جاءت مملكة تدمر من ضمنه، أما بقية الفصول فقد جاءت كالآتي:

الفصل الثاني (محمد وظهور الإسلام) ص 46-64.

الفصل الثالث (عصر الفتوح) ص 65-87.

الفصل الرابع (الدولة العربية) ص 88-112.

الفصل الخامس (الإمبراطورية الإسلامية) ص 113-137.

الفصل السادس (ثورة الإسلام) ص 138-161.

الفصل السابع (العرب في أوروبا) ص 162-185.

الفصل الثامن (الحضارة الإسلامية) ص 186-205.

الفصل التاسع (العرب في دور المتأخر) ص 206-234.

الفصل العاشر (تأثير الغرب) ص 235-254.

خامساً- الغرض من تأليف الكتاب:

ان الغرض من تأليف هذا الكتاب جاء بحسب وصف مؤلفه، بما نصه: "ليس هذا الكتاب تاريخاً للعرب بقدر ما هو رسالة أو مبحث يقصد إلى التعليل والتفسير. فبدلاً من أن أحشر موضوعاً واسعاً كهذا في لائحة عظيمة من التواريخ والأحداث، حاولت أن أغربل وأمحص بعض القضايا الأساسية في هذا المضمار، من مثل مركز العرب في التاريخ الإنساني، وحقيقة أصلهم ومآثرهم، والخصائص البارزة التي تميز تطوّرهم خلال العصور"⁽²⁵⁾.

يظهر لنا جلياً أن برنارد لويس من المستشرقين الذين يعتمدون التحليل والتدقيق في نقل الروايات التاريخية التي تخص العرب، وقد قدم صورة حقيقية وواقعية عن صورة العرب وأخلاقهم وعاداتهم التي تربوا عليها للمجتمع البريطاني، وأهم المسارات العلمية التي أسهمت في تطور العرب، وتحديد مركزهم وموقفهم ضمن التاريخ الإنساني أجمعه، بوصف المدة الزمنية التي شغلها العرب تركت أثراً سياسياً واقتصادية بارزة على المجتمع العالمي برمته.

المبحث الثاني: الرؤية الإستشرافية عند برنارد لويس لمملكة تدمر قبل الإسلام

لاشك في أنّ المستشرقين الغربيين كانت لهم دراسات عديدة عن تاريخ العرب قبل الإسلام، ولاسيما الممالك العربية التي نشأت على أرض شبه جزيرة العرب، وقد أفادت تلك الدراسات بتقديم مادة علمية غنية للباحثين وفتحت المجال أمامهم للتوغل في دراسات زمنية بعيدة من أجل المزيد من الاكتشافات عن ذلك التاريخ الموهل في القدم، فكانت مملكة تدمر واحدة من الممالك العربية التي قامت في بلاد الشام قبل ظهور الاسلام، ونتيجة لدورها التجاري الكبير آنذاك، فقد أثرت في العلاقات السياسية والاقتصادية للدول القديمة المجاورة لها، كل هذا شجع المستشرقين الأوروبيون على دراستها والوقوف على أهم جوانب الحياة فيها، ومنهم: (برنارد لويس)، الذي قدم مادة علمية عن مملكة تدمر، منذ قيامها كمملكة عربية وحتى أفولها على يد روما، ومن أهم ما تناوله تم تقسيمه على وفق النصوص التي أوردها بها، وكما في أدناه:

أولاً- الموقع والتسمية:

وهي من الممالك العربية التي قامت في شمال الجزيرة العربية (سوريا حالياً)، وحدد لويس تاريخ ظهورها، بما نصه: "وقد شهدت الفترة التي تلت موته مبشرة ظهور ثاني دول التخوم العربية ذات الصبغة الآرامية في جنوب شرقي سوريا. وهذه هي دولة تدمر، التي أقيمت في بادية الشام"⁽²⁶⁾.

يتضح لنا من نصه جملة من الأمور:

1- حدد لويس الدولة العربية بالاسم، وهي: دولة تدمر، التي تأسست بعد (موته)، كما أشار النص، ويقصد بذلك الإمبراطور الروماني فيليب الذي حكم من 244-249 ق.م، وهذا التاريخ وفي ضوء النقوش والكتابات القديمة هو بعيد جداً، فهو يعود إلى عهد سرجون الأول الأكدي⁽²⁷⁾ (2316-2471 ق.م)، كما ورد اسمها في إحدى الوثائق الآشورية المكتشفة في الأناضول في مستعمرة آشورية موقع كولتبه كانيش، تعود إلى تجلاتبليزر الأول⁽²⁸⁾ (1114-1076 ق.م)، إذ أشار إلى تدمر عند حديثه عن تحرك جيوشه من بلاد الرافدين إلى الشام لمحاربة العموريين⁽²⁹⁾ عام 1100 ق.م، وورد ذكرها في حملات الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني⁽³⁰⁾ (605-562 ق.م) على فلسطين ومصر⁽³¹⁾، فضلاً عن تنقيبات أجراها الكونت دومنيل في معبد (بل) في تدمر، وقد توصل إلى أنه هناك مدينة تدمرية وأنها كانت عامرة دون انقطاع بين المدة 2100-2000 ق.م، وكانت تلك المدينة حينذاك مركزاً لشراء الفضة⁽³²⁾.

2- أما بالنسبة للموقع الجغرافي فقد حدده لويس في جنوب شرقي سورية، من ضمن بادية الشام، ان تدمر كانت تتمتع بموقع استراتيجي ممتاز بفضل وقوعها في قمة بادية الشام في مركز وسط يمثل همزة وصل بين أراضي الفرات الشمالية الغربية الخصبة وأراضي الشام الشمالية الشرقية، فكأنما بادية الشام أسفلها مثلث متساوي الأضلاع: ضلعه الشرقي من الحيرة أو الكوفة إلى تدمر، وضلعه الغربي من تدمر إلى بطرا، بينما الضلع الجنوبي القاعدة يمر بشمال نجد والحجاز عبر البادية، من الحيرة إلى بطرا في جنوب الشام⁽³³⁾.

أعطى هذا الموقع أهمية تجارية كبيرة لها، فقد عدّت نقطة التقاء التجار القادمين من أسواق العراق وإيران والهند والخليج العربي، وفي الوقت نفسه كانت محطة استراحة للقوافل التجارية الذاهبة إلى الشام وغيرها من المدن للتزود بما تحتاجه من مأكّل ومشرب، أضف إلى ذلك مهمتها كمحطة عسكرية للدفاع عن المملكة⁽³⁴⁾.

كانت الرمال تحيط بها من كل اتجاه مكونة دائرة واسعة حولها، لذلك هي معزولة طبيعياً عن العالم، ولكن قدرها جعلها بين إمبراطوريتين عظيمتين، هما: روما وبارثيا وكان الصراع بينهما يجذب انتباه كلاهما⁽³⁵⁾، في محاولة ضمها فعرفت بحنكة إدارة حكاهما في الإفادة من تنافس الأعداء بتأمين مصالحها ومصالح الطرفين⁽³⁶⁾.

3- أشار لويس إلى تسميتها بتدمر، علماً أنه ومن خلال النص التاريخي هناك تضارب كبير في سبب تسمية تلك المملكة بهذا الاسم، فهي اختلطت بين مسميات عديدة، منها: (تدمر أمورو) في عهد تجلات بلاصر الأول⁽³⁷⁾،

وعرفت عند الكتاب اليونان بان الاسم هو (بالميرا) وهو مشتق من لفظة (Palma) اللاتينية ومعناها (نخل)، الذي أطلقه عليها الاسكندر عندما تغلب عليها (مدينة النخيل): لوجود النخيل فيها وبكثرة⁽³⁸⁾.

أما ديودوروس الصقلي فاطلق عليها اسم: (حديقة بستان النخيل (Palm-grove)) وقد وصفها بانها تحتوي على عدد هائل من أشجار هذا النوع من النبات، وهي تعطي ثماراً وفيرة وتسهم في تزويدهم بالمتعة والرفاهية⁽³⁹⁾.

ويرى يوسفوس أنها من بناء النبي سليمان (U)⁽⁴⁰⁾، أما في المصادر الإسلامية فتعود التسمية إلى تدمير بنت حسان بن أذينة وهي حفيدة الملك التدمري أذينة الأول بن حيران بن وهب اللات⁽⁴¹⁾.

لذا يمكننا القول:

أ- تعود تسميتها إلى طبيعتها الجغرافية وكثرة النخيل فيها، هو أمر لم يظهر لنا واضحاً أن تلك المنطقة تتميز بزراعة النخيل، لأن سوريا ولحد اليوم لم تشتهر أرضها بزراعة ذلك النوع من الأشجار.

ب- ان بناءها من قبل النبي سليمان (U)، أمر غير وارد؛ لأنها ذكرت في كتابات قديمة موهلة في القدم أمثال سرجون الأكدي وتجالات بلاصر.

ت- أما المصادر الإسلامية فهي مصادر غير موثوقة من الناحية العلمية، لاسيما عندما تتحدث عن دول وممالك يعود تاريخها إلى عشرات السنين، وهي كما معروف قد دونت بعد الاسلام.

ث- يبدو لنا ان تسمية تدمر هي محط اختلاف بين الكتابات المختلفة، وهذا أمر يتطلب منا الانتظار للوصول إلى حقيقة هذا الاسم من قبل المكتشفات الأثرية المستقبلية.

4- ذكر لويس أن سكانها يتصفون بصبغة آرامية، بسبب كتاباتهم الآرامية التي دونوا بها نقوشهم وكتاباتهم، وهم يرون أن القبائل العربية التي أخذت تستولي على المناطق الخصبة الواقعة في شرقي أرض (كنعان)، كتبوا بالآرامية؛ لأنها كانت لغة الكتابة، وبذلك وجد في تدمر ثقافة هي خلاصة جملة ثقافات: عربية وآرامية ويونانية ولاتينية، وأقدم كتابة عثر عليها فيها لا يتجاوز تريخها العام التاسع قبل الميلاد⁽⁴²⁾.

ثانياً- رؤية برنارد لويس لملوك تدمر:

تناول لويس أبرز الملوك الذين تناوبوا على حكم تدمر منذ بداية تأسيسها حتى سقوطها على يد روما، وقد أشير إلى شخصية أذينة الذي وصفه لويس: "وكان أول ملوكها اوديناثوس (أذينة) الذي كافأه الإمبراطور جالينوس عام 265 ب.م. بأن اعترف له ملكاً لقاء ما قدمه من مساعدات في الحرب الرومانية الفارسية"⁽⁴³⁾.

يتضح من رواية لويس جملة من الملاحظات:

1- حدد أول ملوك تدمر بالملك (أذينة) أو أوديناثوس، ويظهر لنا هنا أن لويس قد ارتكب خطأ تاريخياً في تحديد أول الملوك في عهد جالينوس — (أذينة الأول)، وهنا كما يبدو انه اشتبه بين الأب والابن، فالأب وزعيم هذه الأسرة هو أذينة من بني السמידع، وهو من أسرة قديمة معروفة، تولى رجالها رئاسة تدمر والزعامة عليها، واستطاعت بفضل تأييدها للرومان وتقربها إليهم أن تكتسب ود القياصرة وعطفهم عليها والإنعام على أفرادها بالألقاب والأوسمة وبالمال في بعض الأحيان، ولم يتعرض الرومان لحكم أفرادها على المدينة إذ كانت أحكامهم لا تعارض أحكام روما ولا تصطدم بها، فتركوهم يديرون شؤونها على وفق السياسة الرومانية وإرادة القياصرة وأوامرهم التي يصدرونها إليهم⁽⁴⁴⁾.

وقد منحت الإمبراطورية الرومانية الامتيازات للمدن السورية الكاملة ومنها: تدمر، الغرض من ذلك هو توسيع القاعدة الاجتماعية لسلطة روما من اجل استقطاب سكان سورية إلى الدائرة الرومانية للوقوف بوجه الامتداد الساساني، مما أدى إلى قيام علاقة تحالف بين روما وتدمر، وكانت سياسة الأولى تقوم على إعطاء الحقوق لتدمر للقيام ببعض شكليات الحكم تعطي التحالف محتوى واقعي⁽⁴⁵⁾.

وفي ذروة نجاح أذينة وشهرته تعرض للقتل في ظروف غامضة، وهنا من يرجح إلى مؤامرة قام بها ابن أخيه بتوجيهه وتدير من روما⁽⁴⁶⁾، وذلك بحسب ما أشار له جورج زيدان بأنه: "كان رئيس عصابة وطنية تسعى لخلع سيطرة الروم"⁽⁴⁷⁾، وكان هذا سببا في قتله من قبلهم لأنه كما يبدو كان راغبا في الانفصال عن روما وتأسيس مملكة مستقلة عنهم، بفعل سيطرته على المنطقة التجارية الخاضعة له.

اضطرب الشرق بسبب الصراع بين الروم والفرس، وكان على التدمريين أن يختاروا الانضمام إلى إحدى القوتين الكبيرتين، فأثروا الانضمام إلى الروم بسبب العلاقات القديمة، فضلاً عن ذلك بعدهم من الإمبراطور الروماني وروما نفسها، مما يشكل أقل خطراً عليهم من الإمبراطور الساساني القريب منهم، لاسيما بعد نجاح سابور الأول⁽⁴⁸⁾ (241-272م) ملك فارس في التوغل في سورية، والقبض على الإمبراطور الروماني فاليريان (253-260م) بعد هزيمة مخجلة للجيش الروماني قرب الرها⁽⁴⁹⁾ عام 260م⁽⁵⁰⁾.

وفي الوقت نفسه كان لأذينة الثاني الابن ثار عند الرومان، منذ أن قتل قائدهم أباه أذينة الأول وعدم موافقة الإمبراطور فاليريان على أن يأخذ له بثأر أبيه؛ لذا استغل هزيمة الروم وأسر فاليريان عام 260م حتى أسرع بالاتصال بالساسانيين، مقدما لهم الهدايا، وعارضا عليهم صداقته، إلا أن الإمبراطور الساساني آنذاك، احتقر العرض التدمري، وأمر بإلقاء الهدايا في النهر؛ لأنه عد نفسه ملك الشرق والغرب جميعاً في ذلك الوقت⁽⁵¹⁾، وتوعد أذينة بالعقاب على تجرئه في مخاطبته، مما أثار غضب أذينة⁽⁵²⁾.

2- أشار برنارد لويس إلى وقوف أذينة الثاني في هذه الحرب إلى جانب روما؛ رغم كرهه لهم، ولكن بسبب إهانة الوفد الذي أرسله من قبل سابور، هرع أذينة على رأس جيش كبير من السوريين وقبائل البدو لإنقاذ فالريان، فهزم الفرس على ضفاف نهر الفرات⁽⁵³⁾ وأسفر الجهد العسكري الروماني التدمري عن انتصار حققه ضد الساسانيين وسيطرة جيوش تدمر على مدن نصيبين⁽⁵⁴⁾ وحران⁽⁵⁵⁾، إلا أنه لم يتمكن من استعادة الإمبراطور السجين، الذي توفي في الأسر وتم حشي جلده وعلق في أحد المعابد⁽⁵⁷⁾.

ونتيجة لذلك تم منح أذينة لقب (قائد جيوش الشرق) عام 262م⁽⁵⁸⁾، ثم تتابعت الأحداث العسكرية بين الطرفين حتى عام 264م، إذ تمت محاصرة سابور في عاصمته المدائن، مما أدى إلى زيادة الإغداق على أذينة في الألقاب والهبّات، إذ منحه روما لقب (إمبراطور عموم الشرق) ولقب هو نفسه (ملك الملوك)، فضلاً عن ذلك فقد منحه مجلس الشيوخ الروماني لقب (أغسطس) وهو لقب خص به أباطرة روما⁽⁵⁹⁾.

ومن ذلك كله يتضح لنا جملة من الأمور أهمها:

- 1- إن أذينة الأول كان زعيم قبيلة وتولى رئاسة المنطقة التي تضم مدينة تدمر، وبفعل موقعها التجاري المهم مكنه ذلك من تولي زمام الأمور في المنطقة.
- 2- أن إطلاق لويس على أذينة الثاني لقب (ملك)، هو نتيجة التطور السياسي الذي حدث في تدمر؛ بسبب الألقاب الكثيرة التي منحتها روما له بعد الانتصار على الساسانيين، فضلاً عن ذلك يعد أذينة المؤسس الحقيقي للمملكة العربية التي ضمت مناطق واسعة.
- 3- قوة وشجاعة أذينة وهو ما أظهره في الحروب التي قادها بنفسه ضد الساسانيين، أكسبته تقدير واحترام أعدائه قبل حلفائه، وخلقت منه رجل دولة أسهم في تحقيق الوحدة الوطنية لمملكته التي كانت سبباً في تحقيق الانتصارات.

2-زنوبيا:

أشار برنارد لويس إلى الملكة التي تولت حكم مملكة تدمر بعد وفاة ابنها السابق الذكر، بما نصه: "وبعد موته خلفته امرأته زنوبيا المشهورة، وفي العربية "زينب" التي ادعت لنفسها مدة طويلة ملك القسم الأعظم من الشرق الأدنى"⁽⁶⁰⁾.

يتضح لنا من نصه جملة من الأمور، أبرزها:

- 1- إن زنوبيا خلفت زوجها أذينة الثاني في الحكم الذي قتل مع ابنه من زوجته الثانية بتدبير من الملكة زنوبيا للسيطرة على مقاليد الحكم مع ابنها⁽⁶¹⁾، وهي في الحقيقة كانت وصية على ابنها (وهب اللات)⁽⁶²⁾.

2- أن معنى اسم زنوبيا مختلف عليه في كتابات المؤرخين، إذ ورد في الكتابات التدمرية (بيت زباي Bath Zabbay)، بمعنى: (ابنة العطية)، وفي المصادر العربية (الزباء) في المصادر العربية⁽⁶³⁾، عكس ما ذكره لويس أنفأ.

كانت زنوبيا عربية الأصل، ذات شخصية قوية، تتحلّى بتربية عالية، تجيد اليونانية والآرامية، وتتكلم بهما بمثل الطلاقة التي تتكلم بها العربية، ولم تكن تجهل اللاتينية، ولها اطلاع على تاريخ الغرب⁽⁶⁴⁾، فهي امرأة قوية الشخصية والبنية، شجاعة جميلة، ذات هيبة ووقار، وكانت سيرتها أقرب إلى سير الأبطال، منها إلى سير النساء، فلم تكن تتركب في الأسفار غير الخيل، وقد سارت على قدميها في بعض المرات عدة أميال على رأس الجيش، وكانت تلبس في المناسبات الرسمية ثوباً من الأرجوان موشى بالجواهر، مشدوداً عند الخصر، وإذا ما استعرضت جيشها في الميادين العامة تمر أمام الصفوف فوق جوادها، وعليها لباس الحرب، وفوق رأسها الخوذة الرومانية، تاركة إحدى ذراعيها عارية حتى الكتف - كما يفعل المحاربون من اليونان القدامى - تعرض جندها على الصبر في القتال، والشجاعة عند لقاء العدو كانت طموحة أربية⁽⁶⁵⁾ ذات سيق في مضمار السياسة، تبت في الأمور بحزم وحكمة، بدلاً من أن تتردد، التي كثيراً ما تشوب حكم النساء، فإذا كان الأولى أن تعفو وتصفح، استطاعت أن تحد من غضبها وتخفف من غلوائها، وإذا كان لزاماً أن تبطش، استطاعت أن تخرس نداء الشفقة والرحمة، وكانت مثقفة، لم تكن تجهل اللاتينية، ولكنها كانت تجيد اليونانية والسريانية والمصرية بالقدر نفسه، كما ألفت أن تعقد موازنة بين روائع هوميروس وأفلاطون تحت إشراف "لونجينوس"، وأن تعيش في قصرها على نظام بلاط الأكاسرة، إذ كانت حاشيتها تحييها بالسجود، حسب الأسلوب الفارسي⁽⁶⁶⁾.

فضلاً عن كونها قد دونت لنفسها خلاصة لتاريخ الشرق، مما يدل على سعة اطلاعها عليه⁽⁶⁷⁾، لاسيما أنها كانت ملازمة لزوجها في حربه التي قادها ضد الساسانيين والتي استطاع فيها أن يسيطر على مدن عديدة أبرزها أنطاكية⁽⁶⁸⁾ التي بقيت تحت سيطرة تدمر حتى سقوطها عام 273م⁽⁶⁹⁾.

3- أشار برنارد لويس إلى سيطرتها على جزء كبير من بلاد الشرق، وهذا الأمر لم يأت فجأة وإنما قد وجدت زنوبيا إن روما لا يمكن الوثوق بها؛ لذا اتبعت بعد مقتل زوجها سياسة عربية، سياسة تعتمد على التقرب من الأعراب والتودد إليهم، والاعتماد عليهم في القتال والحروب؛ وذلك بعد أن رأت أن الرومان هم أعداء تدمر، وأنهم لا يفكرون إلا في مصالحهم الخاصة، وبهذه السياسة تقربت أيضاً من العناصر العربية المستوطنة في المدن، وأخذت تعمل على تكوين دولة عربية قوية واحدة بزعامتها، لاسيما بعد أن أدركت أن الأعراب قوة لا يستهان بها، وأنهم لو نظموا واستغلوا استغلالاً جيداً، صاروا قوة يحسب لها كل حساب⁽⁷⁰⁾.

سعت زنوبيا إلى توسيع تجارة تدمر وطمحت في تكوين إمبراطورية تضاهي الإمبراطورية الرومانية، وأخذت تتصرف بيقظة وحزم من أجل تنفيذ خططها مستغلة الظروف والصعاب والتناقضات السياسية والاجتماعية التي تعاني منها الإمبراطورية الرومانية، فعملت على احتلال الأراضي القريبة من بيزنطة مدعية أن ذلك من أجل روما، ثم احتلت

مصر عام 270م⁽⁷¹⁾، فقامت بسك النقود التي حملت صورة لشخصين أحدهما ابنها (وهب اللات) والصورة الأخرى للإمبراطور الروماني أورليان، وفي عام 271م سكّت نقوداً أخرى حملت صورة أبنها (وهب اللات) فقط بعد أن حذفت صورة الإمبراطور الروماني، ثم سكّت نقوداً فضية حملت صورتها بوضع نصفي وكتبت اسمها بالحروف اللاتينية، والوجه الآخر نقش على اسم ابنها (وهب اللات) ووضعت عليه لقب (ملك الملوك)، وهذا بطبيعة الحال إن دل على شيء إنما يدل على رغبتها ليس في الانفصال السياسي فحسب وإنما يعبر عن نوع من الانفصال الاقتصادي عن روما⁽⁷²⁾.

استثار الإمبراطور أورليان غضباً لما قامت به زنبوبيا فأمر باحتلال تدمر⁽⁷³⁾، مما أدى إلى توتر العلاقات بينهما، حتى أن روما رغبت في القضاء عليهما وعلى مملكتها⁽⁷⁴⁾، بعد أن تخلصت من بعض المشاكل الداخلية التي كانت تعاني منها، فبدأت أولى الهجمات العسكرية الرومانية في مصر إذ ألحقت هزيمة عسكرية بقوات تدمر عام 271م، وفي الوقت نفسه كان هناك جزءاً من الجيش الروماني يتقدم عبر آسيا الصغرى وصولاً إلى الشام بعد أن حقق انتصارات على الجيوش التابعة لتدمر، مما جعل ملكة تدمر تأخذ خط دفاعي لها خارج أنطاكية حيث دارت أولى المعارك بينهم في بلاد الشام وانتهت بانتصار الجيش الروماني مما دفع التدمريين إلى الانسحاب إلى مدينة حمص⁽⁷⁵⁾⁽⁷⁶⁾.

وهناك جرت مراسلات بين أورليان وقادته في روما؛ بسبب سخريتهم منه؛ لكونه يحارب امرأة، إذ قال لهم: "ليتك تعرفون من هي هذه المرأة وأي امرأة أقاتل وليتك يا من تعتبرون أنفسكم رجالاً تشبهون زنبوبيا في أي صفة من صفاتها..."⁽⁷⁷⁾، ويلحظ من هذا النص مدى إعجاب إمبراطور روما بقوة شخصية زنبوبيا وشجاعته، ومقارنتها برجال جيشه الذي كما يبدو أنه حاول التقليل منهم في هذا النص؛ نتيجة فشلهم في القضاء عليها مرات عديدة.

وجرت المعركة الفاصلة بين الطرفين في مدينة أنطاكية عام 272م⁽⁷⁸⁾، إذ بعد هزيمة زنبوبيا انسحبت إلى مدينة حمص وهناك دارت معركة كبيرة قُتل فيها أعداد كبيرة من الجانبين فاضطرت زنبوبيا إلى سحب قواتها والانزواء داخل مدينتها المحصنة تدمر التي لم يكن بمقدورها الصمود طويلاً أمام الحصار؛ بسبب عزلتها في وسط البادية وقلة مواردها الذاتية، وفي أثناء ذلك حاولت زنبوبيا التسلل خارج المدينة للذهاب إلى ملك الساسانيين سابور من أجل مفاوضات على تقديم المساعدة لها في حربها ضد الإمبراطور الروماني أورليان، إلا إن جند الأخير اكتشفوا تحركها واستطاعوا إلقاء القبض عليها وكان ذلك في خريف 272م⁽⁷⁹⁾.

وقد أشار برنارد لويس إلى أن نهاية زنبوبيا كانت في الأسر، بقوله: "وأخضع المملكة وأرسل زنبوبيا إلى روما في سلاسل من الذهب لتمثل في موكب نصر روماني"⁽⁸⁰⁾.

يتضح من النص أعلاه:

1- إن روما بعد أن تمكنت من السيطرة على المدينة أسرت الملكة زنبوبيا وأرسلتها إلى روما.

2- تقييد زنوبيا بسلاسل من الذهب يبدو فيه جملة من الآراء:

- أ- تقديرا واحتراماً لها لأنها من سلالة ملكية، وكانت حينها على رأس الجيش الذي قاوم روما.
ب- إن في ذلك إشارة إلى الثروة الاقتصادية الكبيرة التي تملكها مملكة تدمر، وقد أصبحت الآن مُلكاً لروما وحدها دون منافس، لاسيما بعد قضائها على مملكة تدمر العربية، وبذلك تمكنت من فرض سيطرتها على الطرق التجارية المهمة التي سبق وأن كانت مصدر رزق كبير لأهل تدمر.
ت- دل هذا العمل على احترام روما للنساء وبسبب ذلك كبلت بسلاسل الذهب؛ لأن النساء يرتدين الذهب في أغلب الأوقات.

3- وضع زنوبيا في موكب نصر روماني وفيه دلالة على انتصار إمبراطورية روما على المملكة العربية وإخضاعها؛ بسبب ما سببته من إحراج كبير لروما في سيطرتها على مناطق تابعة لها ومحاولتها الانفصال وتكوين دولة مستقلة من جانب، ومن جانب آخر محاولتها الاتصال بالساسانيين العدو اللدود لروما وإقامة علاقات ودية معهم.

ومهما يكن من أمر فقد تضاربت الآراء حول مصير المملكة العربية زنوبيا فهناك من قال أنها أسرت من طرف الساسانيين أثناء طلبها النجدة منهم، وهناك من قال أنها انتحرت بالسم⁽⁸¹⁾.

وبذلك يمكننا القول إن زنوبيا قد وقعت بالأسر؛ وذلك لأنها شوهدت بموكب النصر الروماني، وهذا ما أكدته أغلب المصادر⁽⁸²⁾.

ثالثا- رؤية برنارد لويس لعلاقة تدمر بالإمبراطورية الرومانية:

ارتبط تاريخ تدمر بروما وذلك بحسب ما ورد عنها من لدن الكتاب الرومان⁽⁸³⁾، إذ لم يكن من السهل على تدمر التي تسكن الصحراء أن تحافظ على سيادتها التامة في وجه النفوذ المتزايد للإمبراطورية الرومانية، فشهدت أوائل السنوات الميلادية اعتراف تدمر بسيادة روما وبقيت تحت الإشراف الروماني حتى تمكن تراجان من إلحاقها بالولاية العربية التي أوجدها عام 106 م، ومنحها هادريان أسم: (هادريان بالميرا) في أثناء زيارته لها عام 130 م وجعلها ولاية تابعة لروما⁽⁸⁴⁾.

وعلى لويس نهاية هذه المملكة وسقوطها بيد الرومان بعد مدة قصيرة من الزمن إلى ضعف الأساس والتماسك الذي قامت عليه مقارنة بالممالك العربية في جنوب الجزيرة العربية، إذ كان الغرض الأول من قيامها هو عملها كدولة حاجزة أو إمارة واجها يكمن في دفع الجزية لروما وإقامة مراكز دفاعية عسكرية على حدود الصحراء⁽⁸⁵⁾.

إن نظام الحكم في تدمر لا يمكن مقارنته بممالك العرب الجنوبية إطلاقاً؛ لكون سكان تدمر كانوا بالأصل قبائل عربية بدوية، ساعدها موقعها التجاري على أن تسعى عائلاتها المتنفذة اقتصادياً في حماية مصالحها والعمل على إدارة شؤون بلدهم؛ لذا كان نظام حكمهم عشائري على رأسه الشيخ الكبير أو المسؤول عن القبيلة في تسيير القوافل التجارية المارة عبر أراضيها، فضلاً عن شخصية رئيس الخفر الذي تقع على عاتقه حماية تلك القوافل، وبفضل الرومان وبعد سيطرة الأخيرة على بلاد الشام أقاموا لهم مجلس شيوخ له صلاحيات تنفيذية وإدارية⁽⁸⁶⁾، وكان أذينة أحد أعضاء مجلس الشيوخ⁽⁸⁷⁾ الذي سعى فيما بعد للحصول على الحكم واستقلاله فيه، ولم يتحقق ذلك إلا بعد عام 250م عندما تمكن ابنه المسعى: (أذينة الابن أو أذينة الثاني) بإقامة نظام ملكي وراثي⁽⁸⁸⁾.

ونرى هنا إن روما قد وجدت في تدمر طريقاً لتنفيذ مصالحها ورغباتها على المستوى السياسي، بوصفها حليفة لها، إذ كوّن الرومان كتائب من الجنود العرب لحماية الطرق وللدفاع عن حدودهم الطويلة المتصلة بالبادوي، وهي حدود يصعب على الجيوش النظامية حمايتها، وقد انتهز الأعراب فرصة الكارثة التي نزلت بالقيصر فاليريان بتغلب الفرس عليه، فأخذوا يهاجمون الخطوط الرومانية الدفاعية، ويباغتون مدنها، بغزوهم لها، مما حمل من جاء بعده من حكام روما على تقوية الحصون وإعادة ترميم استحكاماتها، ومن هذه مدينة درعة أو درعا⁽⁸⁹⁾ لتصمد أمام غارات الأعراب التي تكاثرت عليها، علاوة على ذلك فقد استخدموهم في قتال الفرس ومن كان في خدمتهم من الأعراب، واشتهر التدمريون في فن الرماية، فكانوا في أيامهم من خبرة الرماة بالسهم، ولذلك استعان بهم الرومان⁽⁹⁰⁾.

وبالتالي يمكننا القول إن نشوء هذه المملكة ارتبط بكونها محطة تجارية اقتصادية مهمة، وكان لعلم سكانها بطرق الصحراء ومدخلها ومخارجها دور في إقامة علاقات طيبة مع روما، فضلاً عن ذلك فقد أسهمت سيطرتها على الطرق التجارية القادمة من جنوب الجزيرة العربية مروراً بالعراق حتى تدمر ذهاباً وإياباً دوراً كبيراً أثار اهتمام الدول بها.

الخاتمة:

- 1- إن المدرسة الاستشراقية البريطانية من المدارس الأوروبية الشهيرة التي اهتمت بالعرب وبأحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد اتضح ذلك بدراسة تاريخ العرب منذ مدة طويلة، وقدمت لنا عدد المستشرقين المهمين في هذا المجال، ومنهم: برنارد لويس، صاحب كتاب العرب في التاريخ موضوع الدراسة.
- 2- عد برنارد لويس من المستشرقين الذين تركوا بصمة كبيرة في الدراسات التاريخية، فكانت آراؤه غنية بمعلومات قيمة عن تاريخ العرب القديم وبعده.
- 3- قدم مادة تاريخية مهمة عن مملكة تدمر بدءاً من قيامها كمملكة عربية في بلاد الشام، متبعاً الملوك الأبرز فيها والذين كان لهم دور كبير في توطيد أركانها.

-
- 4- بينت الدراسة إن الموقع الجغرافي لتدمر أسهم بشكل كبير في تزايد أهميتها بين ممالك العالم القديم، لاسيما مرور القوافل التجارية عبرها، وبالذات الطريق التجاري الرابط بين أجزاء الجزيرة العربية.
- 5- كشفت الدراسة أن روما كانت ترغب في وضع تدمر تحت سيطرتها في أغلب الأوقات، وعندما ترى منها محاولة في الاستقلال تعمل على قتل ملوكها كما حدث مع الملك أذينة الثاني، أو مع الملكة زنوبيا بإسقاط حكمها.

- (1) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص2244-2245.
- (2) كجك، التراث الاسلامي والاستشراق، ص162.
- (3) الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، ص16 وما بعدها.
- (4) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج2، ص687.
- (5) مطبقاني، منهج المستشرق برنارد لويس، ص20.
- (6) قاشا، سهيل، المستشرقون الإنكليز، مجلة الاستشراق، العدد الثاني، بغداد، شباط 1987، ص6.
- (7) الحيدري، رؤية الاستشراق البريطاني، ص25.
- (8) مطبقاني، منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، ص21.
- (9) العقيلي، المستشرقون، ج2، ص430.
- (10) البابوات: مفردا البابا، وهو رأس الكنيسة في روما، وفي الوقت نفسه، هو أسقف، وبطريك روما. ولقب (البابا) مشتق من الكلمة اليونانية (Papas) وتعني: (الأب)؛ لأن العامة يسمون الأسقف أباً، والأسقف يسمي البطريك (أباً)، فسمي البطريك بابا الذي هو (أب الآباء) أو رئيسهم؛ لأنه أب لجميع الأساقفة ثم اقتصر اللقب على أسقف روما بشكل خاص. للمزيد من المعلومات ينظر: الشريدة، نشأة البابوية وتطورها، ص393-394.
- (11) دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين، ج2، ص39؛ الحيدري، رؤية الاستشراق البريطاني، ص26.
- (12) اللغة السنسكريتية: هي لغة قديمة في الهند وهي لغة طقوسية للهندوسية والبوذية واليانية، لها موقع في الهند وجنوب شرق آسيا مشابه للغة اللاتينية واليونانية في أوروبا في القرون الوسطى، وهي إحدى الاثنتين وعشرين لغة المعتمدة في الهند؛ إذ تدرس كلغة ثانية فيها، لكنها تعد اللغة الأم لبعض البراهمانيين (طبقة الكهنة والعلماء). ينظر: شاذلي، الحروف السنسكريتية كمثير تشكيلي والاستفادة منها في إثراء اللوحة الزخرفية، ص446-447.
- (13) العقيلي، المستشرقون، ج2، ص430.
- (14) الحيدري، رؤية الاستشراق البريطاني لمغازي الرسول (p)، ص26.
- (15) دي طرازي، خزائن الكتب، ج2، ص589؛ الحيدري، رؤية الاستشراق البريطاني، ص26.
- (16) الصناعي، تحيزات الاستشراق الأكاديمي البريطاني في دراسة سيرة النبي (p)، ص12.
- (17) العقيلي، المستشرقون، ج2، ص561.
- (18) لويس، أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المذنب، ص13.
- (19) مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص958.
- (20) العقيلي، المستشرقون، ج2، ص561.
- (21) مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص959.
- (22) لويس، أزمة الإسلام، ص15.
- (23) العقيلي، المستشرقون، ج2، ص561؛ سعيد، منهجية التعالي على تراث الشعوب، ص110.
- (24) مطبقاني، منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الفكر السياسي الإسلامي، ص3.
- (25) لويس، العرب في التاريخ، ص5.

(26) لويس، العرب في التاريخ، ص 30.

(27) سرجون الأول: مؤسس الإمبراطورية الأكديّة وصاحب أول مملكة موحدة في التاريخ، ذكرته المصادر المسمارية باسم (شاروكين) وتعني: (الملك الصادق، أو الملك الحقيقي، أو الشرعي)، حكم للمدة 2334 - 2279 ق.م، قام بإنشاء دولة مركزية موحدة، من خلال سيطرته على أرجاء واسعة من الشرق القديم التي امتدت إمبراطوريته الواسعة من عيلام إلى البحر المتوسط، بما فيها بلاد ما بين النهرين والأناضول، أطلق على نفسه (ملك الجهات الأربع). ينظر: عباس، عبد الرحيم، الأصول الغامضة للقائد سرجون الأكدي وأثرها في صياغة شخصية البطل، ص 54-57.

(28) تجلاتيليزر الأول: من ملوك العصر الآشوري الوسيط، حكم بلاد آشور للمدة 1115-1077 ق.م، وهو ابن الملك آشور-ريش-إيشي الأول، أحد مشيدي عظمة الإمبراطورية الآشورية ومهندسي انتصاراتها، فقد وصلت حدود الدولة الآشورية في عهده إلى أرمينيا وكبدوكيا وساحل البحر المتوسط، وكان صياداً ماهراً ومعماراً مشهوراً وأعاد بناء معبد آشور. للمزيد من المعلومات ينظر: الحديدي، الملك الآشوري تجلاتيليزر الثالث 745-727 ق.م، ص 10.

(29) العموريون: أو الأموريون، وهم أول شعب سامي عاش في اقليم سورية، وقد قدموا من شبه الجزيرة العربية في هجرة واحدة مع الكنعانيين في حوالي منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وتطلق عليهم المدونات السومرية اسم مارتو (MAR-TU)؛ أما الأكديّة فتسميهم أمُورُم (Amurru) أي الغربيين أو أهل الغرب، وردت أول إشارة لهم في عصر سرجون (225- ق.م) وأخذوا يظهرن بالتدريج في سوريا الوسطى ولبنان وحتى في جنوب فلسطين، وفي عمريت الحديثة الواقعة على الساحل الفينيقي الشمالي ما يخلد اسم (الأموريون)، اتخذوا من مدينة ماري عاصمة لهم، وتمكنوا من تأسيس دولة في منطقة الفرات الأوسط في سوريا واجتاحوا بلاد ما بين النهرين وحكموها وأسسوا عدة دويلات من آشور في الشمال حتى لارسا في الجنوب بين عامي 2100 و 1800 ق.م، وأبرزها سلالة بابل الأولى التي انتسب إليها حمورابي، والأخير فتح بلاد أمورو وضمها إلى مملكته. ينظر: حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج1، ص 71-72.

(30) نبوخذنصر الثاني: ملك بابل وهو بن نبوبلاصر مؤسس الإمبراطورية الكلدية، تسلم العرش في الأول من أيلول 605 ق.م، يعد من أعظم ملوكها وأكثرهم شهرة، ينتسب إلى الكلدانيين الذين عاشوا في جنوب العراق ووسطه، كان قائداً شجاعاً يمتلك خبرة ودراسة واسعتين في الجيش والإدارة، برز كقائد عسكري بعد انتصاره على الجيش المصري في معركة (كركميش) بعد قضائه على الفرعون المصري (نيخو)، قاد حملات عسكرية عديدة أهمها سبي اليهود وأسقط مدينة أورشليم مرتين سنة 597 ق.م و 587 ق.م. للمزيد من المعلومات ينظر: محمد، نبوخذنصر الثاني 604-562 ق.م، ص 55 وما بعدها.

(31) الجنابي، العلاقات السياسية بين تدمر والرومان حتى عام (273م)، ص 194.

(32) خليف، مقارنة فكرية-تاريخية لروحانية وخصائص حضارة المشرق العربي القديم، ص 45.

(33) عبد الحميد، في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص 150.

(34) السلماي، الصراع الروماني-الساساني حول مملكة تدمر (226-273م)، ص 757-758.

(35) بلينيوس، بلينيوس والجزيرة العربية، ص 77.

(36) مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير، ص 13.

(37) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج4، ص 277.

(38) الشيخ، العرب قبل الاسلام، ص 143.

(39) ديودوروس، ديودوروس والجزيرة العربية، ص 83.

- (40) نقلاً عن: علي، المفصل في تاريخ العربي، ج6، ص78؛ مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص478.
- (41) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص369؛ الجنابي، العلاقات، ص194.
- (42) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج5، ص80؛ مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص480.
- (43) العرب في التاريخ، ص35.
- (44) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج5، ص91.
- (45) خليف، مقارنة تاريخية لروحانية وخصائص حضارة المشرق العربي القديم (نموذج تدمر)، ص47.
- (46) حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص438.
- (47) زيدان، العرب قبل الاسلام، ص100.
- (48) سابور: ويرد اسمه (شاه بوهر)، خلف والده أردشير في الحكم. بيرنيا، تاريخ ايران القديم، ص241.
- (49) الرها: مدينة رومية عظيمة، فيها آثار عجيبة وهي بالقرب من قلعة الروم من الجانب الشرقي الشمالي عن الفرات. للمزيد ينظر: العزيمي، الكتاب العزيمي أو المسالك والممالك، ص110.
- (50) كرستسن، إيران في عهد الساسانيين، ص210-212؛ طقوش، تاريخ العرب قبل الاسلام، ص371.
- (51) مهران، دراسات في تاريخ العرب، ص485.
- (52) طقوش، تاريخ العرب قبل الاسلام، ص372.
- (53) حتي، تاريخي سوريا ولبنان وفلسطين، ص437.
- (54) نصيبين: بفتح أوله، وكسر ثانيه: كورة من كور ديار ربعة، وهي كلها بين الحيرة والشام. ينظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج4، ص1310.
- (55) حران: وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أفر، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص235.
- (56) جبران، آل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص191.
- (57) حتي، تاريخي سوريا ولبنان وفلسطين، ص437.
- (58) طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص372.
- (59) جبران، آل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص191-192.
- (60) لويس، العرب في التاريخ، ص30.
- (61) خليف، "مقاربة فكرية-تاريخية..."، ص51.
- (62) برو، تاريخ العرب القديم، ص117.
- (63) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص489.
- (64) برو، تاريخ العرب القديم، ص116.
- (65) أريية: واسعة الفكر. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص59.
- (66) مهران، دراسات في تاريخ، ص493-494.
- (67) برو، تاريخ العرب القديم، ص116.

(68) انطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، مدينة عظيمة من أعيان المدن على طرف بحر الروم بالشام، أول من بنى أنطاكية انطيوخس وهو الملك الثالث بعد الإسكندر بست سنوات، قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد وأمّاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 166.

(69) خليف، "مقاربة فكرية-تاريخية..."، ص 51.

(70) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 5، ص 113.

(71) السلماي، الصراع الروماني - الساساني، ص 760.

(72) الجنابي، العلاقات السياسية بين تدمر والرومان، ص 203.

(73) لويس، العرب في التاريخ، ص 30.

(74) السلماي، الصراع الروماني - الساساني، ص 760.

(75) حمص: من أوسع مدن الشام ولها نهر عظيم منه شرب أهلها، وأهل حمص جميعا يمن من طيّء وكندة وحمير وكلب وهمدان وغيرهم من بطون اليمن. اليعقوبي، البلدان، ص 160-161.

(76) جبران، آل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص 193-194.

(77) جبران، آل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص 194؛ خليف، "مقاربة فكرية..."، ص 52.

(78) عبد الحميد، في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص 158.

(79) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب، ص 169.

(80) العرب في التاريخ، ص 30.

(81) السلماي، الصراع الروماني - الساساني، ص 763.

(82) عبد الحميد، في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص 168؛ الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص 169؛ جبران،

آل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص 194؛ الشيخ، العرب قبل الاسلام، ص 156.

(83) الجنابي، العلاقات السياسية، ص 197.

(84) حتي وآخرون، الدول السورية العربية قبل الاسلام، ص 434-435.

(85) لويس، العرب في التاريخ، ص 34-35.

(86) جبران، آل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص 190.

(87) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص 485.

(88) جبران، آل ثاني، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ص 190.

(89) درعة: أذرعات، موضع بالشام، عرفت عند العرب في الجاهلية والاسلام، تعرف حالياً باسم (درعة ودرعا)، وهي (أذرعى Edrei) في

التوراة، بمعنى: قوة أو حصن. علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 5، ص 59-60.

(90) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 68، ج 5، ص 82.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر الكلاسيكية

✚ بلينيوس.

1. بلينيوس والجزيرة العربية، إشراف وتحرير: العبد الجبار، عبدالله بن عبد الرحمن، ترجمة: علي عبد الجيد، تعليق: زياد السلامين، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 2017م).

✚ ديودورس .

2. ديودورس والجزيرة العربية، إشراف وتحرير: العبد الجبار، عبدالله بن عبد الرحمن، ترجمة: د. أحمد غانم، تعليق: د. رحمة بنت عواد السناني، (الرياض: دار الملك عبد العزيز، 2017م).

المصادر الأولية:

✚ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ / 1094م).

1. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، (بيروت: عالم الكتب، بيروت، 1403هـ).
- ✚ العزيزي، الحسن بن أحمد المهلب (ت: 380هـ / 990م).
2. الكتاب العزيزي أو المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف، (دم: د.مط، د.ت).
- ✚ الفيروزيادي، مجد الدين أبو طاهر (المتوفى: 817هـ).
3. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1426 هـ / 2005م).

✚ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (ت: 711هـ / 1311م).

1. لسان العرب (القاهرة: القاهرة، د.ت).
- ✚ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت: 626هـ / 1228م).
2. معجم البلدان، ط2، (بيروت: دار صادر، 1995م).
- ✚ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت: 292هـ / 904م).
3. البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

المراجع العربية:

✚ بدوي، عبد الرحمن.

1. موسوعة المستشرقين، ط3، (بيروت: دار العلم للملايين، 1993م).
- ✚ برو، توفيق.
2. تاريخ العرب القديم، (دمشق: دار الفكر، 1996م).
- ✚ بيرنيا، حسن.
3. تاريخ إيران القديم من البداية حنة نهاية العهد الساساني، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم، السباعي محمد السباعي، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013م).
- ✚ جبران، نعمان محمود، آل ثاني، روضة سحيم.
4. دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، (الأردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، 2011م).

- ✚ حتى، فيليب.
5. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق، اشرف على مراجعته وتحريره: الدكتور جبرائيل جبور، (بيروت: دار الثقافة، د.ت).
- ✚ دي طرازي، الفيكونت فليب.
6. خزائن الكتب العربية في الخافقين، منشورات دار الكتب ببيروت. مطبعة جوزيف صقيلي، 1974م.
- ✚ الزيايدي، محمد فتح الله.
7. الاستشراق أهدافه ووسائله. د. محمد فتح الله الزيايدي، ط2، (دمشق: دار قتيبة، 2002م).
- ✚ زيدان، جورجي.
8. العرب قبل الاسلام، (بيروت: منشورات دار ومكتبة الحياة، 1979م).
- ✚ الشيخ، حسين.
9. العرب قبل الاسلام، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ت).
- ✚ طقوش، محمد سهيل.
10. تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار النفائس، 2009م).
- ✚ عبد الحميد، سعد زغلول.
11. في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار النهضة العربية، 1975م).
- ✚ العقريقي، نجيب.
12. المستشرقون، (القاهرة: دار المعارف، 1998م).
- ✚ علي، جواد.
13. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (دم: دار الساقى، 2001م).
- ✚ قاشا، سهيل.
14. المستشرقون الإنكليز، مجلة الاستشراق، العدد الثاني، بغداد، شباط 1987.
- ✚ كرسنسن، آرثر.
15. إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، (بيروت: دار النهضة، 1982م).
- ✚ لويس، برنارد.
16. أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المذنب، ترجمة: حازم مالك حسين، (دم: دمط، د.ت).
17. العرب في التاريخ، تعريب: نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد، (بيروت: دار العلم للملايين، 1954م).
- ✚ مادون، محمد علي.
18. تفاعلات حضارية على طريق الحرير (تدمر)، (دمشق: دمط، 1995م).
- ✚ مراد، يحيى .
19. معجم أسماء المستشرقين، (دم: دمط، د.ت).
- ✚ مطبقاني، مازن بن صلاح.

20. منهج المستشرق برنارد لويسفي دراسة الفكر السياسي الإسلامي، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 1998م).

✚ الملاح، هاشم يحيى.

21. الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2008م).

✚ مهران، محمد بيومي.

22. دراسات في تاريخ العرب القديم ، ط2، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية ، 2008م).

✚ يوسف، جوزيف نسيم.

23. نشأة الجامعات في العصور الوسطى، (الاسكندرية: دار المعارف، د.ت).

الموسوعات:

1. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إشراف ومراجعة: د. مانع الجهن، ط4، (الرياض:

دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، 1420هـ).

الرسائل والأطاريح الجامعية:

✚ الحديدي، أحمد زيدان خلف صالح.

1. الملك الأشوري تجلاتبليزر الثالث 727-745 ق.م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2001م.

✚ الحيدري، زهير يوسف عليوي.

2. رؤية الاستشراق البريطاني لمغازي الرسول (p)، والفتوحات العربية الإسلامية في العصر الراشدي، رسالة

ماجستير، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2006م.

✚ مطبقاني، مازن بن صلاح .

3. منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي، أطروحة دكتوراه، كلية الدعوة ،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المدينة المنورة، 1414هـ.

البحوث والدراسات المنشورة:

✚ الجنابي، قيس حاتم هاني.

1. العلاقات السياسية بين تدمر والرومان حتى عام (273م)، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد (16)،

العدد (1) عدد خاص، المؤتمر العلمي العاشر، 2008م.

✚ خليف، د. بشار محمد.

2. مقارنة فكرية-تاريخية لروحية وخصائص حضارة المشرق العربي القديم، دورية إلكترونية محكمة، العدد (3)،

دمشق.

✚ عباس، رغد عب القادر، عبد الرحيم، محمد صبري.

3. الأصول الغامضة للقائد سرجون الأكدي وأثرها في صياغة شخصية البطل، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية

والاجتماعية، العدد (27)، نوفمبر 2021.

✚ سعيد، خير الله رشك.

4. منهجية التعالي على تراث الشعوب، مجلة دراسات عربية، السنة (26)، العدد (9) تموز / يوليو، بيروت، 1990م.

5. السلمي، ليث خليل.
6. الصراع الروماني - الساساني حول مملكة تدمر (226-273م)، مجلة ديالى، العدد (73)، 2017م.
7. شاذلي، إيناس فوزي محمد. الحروف السنسكريتية كمثير تشكيلي والاستفادة منها في إثراء اللوحة الخزفية، مجلة جامعة جنوب الوادي الدولية للعلوم التربوية، المجلد (6)، العدد (10)، يونيو 2023م.
8. الشريدة، أحمد تركي. نشأة البابوية وتطورها، مجلة دراسات، المجلد (45)، العدد (4)، ملحق (1)، 2018م.
9. الصناعي، ناجي علي. تحيزات الاستشراق الأكاديمي البريطاني في دراسة سيرة النبي (ﷺ)، مجلة مركز جزيرة العبد للبحوث التربوية والإنسانية، المجلد (1)، العدد (8) شعبان/1442هـ - مارس/2021م.
10. عباس، رعد عب القادر، عبد الرحيم، محمد صبري. الأصول الغامضة للقائد سرجون الأكدي وأثرها في صياغة شخصية البطل، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (27)، نوفمبر 2021.
11. كجك، بسام. التراث الاسلامي والاستشراق، مجلة كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا، العدد 7، 1990.